من مجموعة

"ارض البرتقال الحزين"

لا شيء!

« نقلت الانباء ان جندياً على الحدود صب فجأة رصاص رشاشه على الارض المحتلة فاقتيد الى مستشفى الامراض العصبية ! . »

. . .

كانت تلك هي المرة الاولى التي سمع فيها هذا الاصطلاح : « انهيار عصبي » ! وسأل الممرض فيما كان يقتاده الى الخارج :

– ماذا يعني انهيار عصبي ؟.

اجاب الممرض بجفاء :

– يعني انك لست على ما يرام !.

رفع يده ودق باصبعه على جانب رأسه وسأل :

– هنا ؟

– نعم . هنا !

وقف هنيهة . لم يكن متأكداً من اي شيء . ثم عاد فسأل مرة اخرى لمجرد انه لا يعرف ماذا يتعين عليه ان يقول :

– انهيار عصبي .. هنا ؟

– نعم ..

– ماذا يعني ذلك ؟

– يعني انك لست على ما يرام ..

– كيف ؟.

جذبه الممرض من ذراعه بعنف فأحس بأنه انما كان يقول كلاماً فارغاً وانه لم يكن ليستطيع التحكم بلسانه . كان ثمة عنكبوت اسود كبير قد تمركز في جبينه من الداخل واخذ يبني شباكه الدقيقة القاسية بين عينيه .

– الى اين ستأخذني الآن ؟.

– عليك ان تقابل الرئيس ..

حاول ان يقف الا ان الممرض دفعه بعنف . فأكمل مسيره ..

– قل لي . هذه المقابلة مع الرئيس . هل تتعلق بحكاية الاعصاب هنا ؟.

اشار الى جانب رأسه مرة اخرى . ومضى العنكبوت يشد خيوط شباكه ..

– اغلب الظن ان نعم ..

– نعم ماذا ؟.

– اوف !.

مرة اخرى احس بأنه . فعلاً . ليس على ما يرام .. ولكنه كان يرغب في اطلاق سراح لسانه الى ابعد مدى مستطاع :

– هل تعرف شيئاً ؟.

– ماذا ؟.

ثبت قدميه في الارض وهز اصبعه بوجه الممرض المرافق ، ولما حاول الاخير ان يدفعه شنج ساقيه وامتنع ..

– اريد ان اقول لك شيئاً ..

– ماذا ؟.

– صحيح انه انهيار عصبي .. ولكنه ليس هنا ..

– اين اذن ؟.

اشار الى صدره وقال بهدوء :

– هنا ..

– الانهيار العصبي لا يحدث هناك قط ..

– من قال ذلك ؟.

– الاطباء ..

– انهم مجانين ..

مشى قليلاً . ثم وقف وهز اصبعه بوجه الممرض مرة اخرى ..

– الاطباء مجانين .. ثم ان هذه ليست حالة طبية . انها حالة عسكرية ..

– لماذا هذه الحالة حالة عسكرية ؟.

– لانني انا نفسي عسكري !

– وما الفرق ؟

– ماذا تعني ؟

عاد الممرض . فجذبه بعنف وسار به في الممر النظيف الصامت .. كانت الابواب مغلقة على طول الجانبين . وكان العنكبوت قد بدأ يغني وهو يكمل نصب شباكه القاسية بين عينيه ..

– أهو بعيد من هنا ؟

– من ؟.

– الرئيس ..

– في آخر الممر ..

كان يزعجه ان ينتهي الحديث بتلك السرعة . وكان يحس بأن عليه ان يتكلم كثيراً . لقد كانت رغبة جارفة تتملك بصدغيه وتهزه بلا هوادة .. وكان الممرض المرافق يصر على سحبه بعنف . وكانت

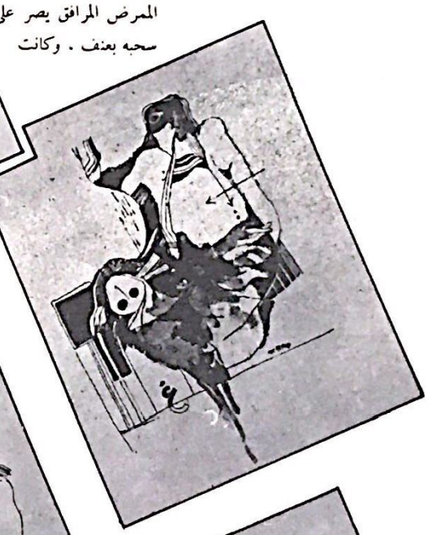

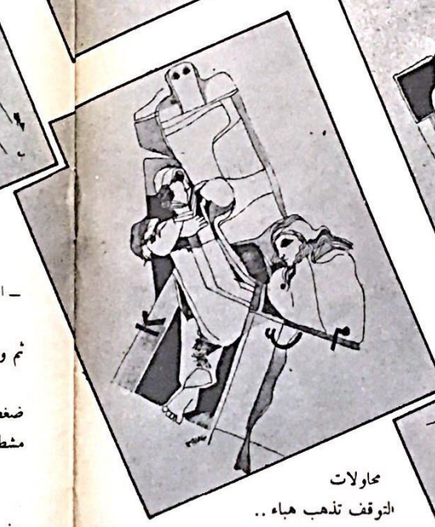

محاولات التوقف تذهب هباء ..

– اسمع . لقد اتعبتني .. لنقف قليلاً ونستريح .. ثم اني – كما قال الطبيب – رجل مريض ..

وقف الممرض . وقاسه بعينيه ملياً . ثم هز رأسه واطبق شفتيه باحكام . بينما اتكأ على الحائط ومضى

يتابع خطوات العنكبوت البطيئة وهو يتنقل في جبينه متمماً بناء عشه ..

– كيف عرف انني مصاب بـ .. بـ .. بذلك الشيء المتعلق بالاعصاب هنا ؟

– الانهيار العصبي ؟

– نعم .. الانهيار العصبي .. كيف عرف ؟

– لقد سألك اسئلة خاصة .. وهم يعرفون المرض من الاجوبة ...

– ولكنه لم يسألني كثيراً . سألني مرتين أو ثلاث مرات ثم انكب على دفتره يكتب .. قال لي : ماذا شعرت قبل ان تطلق الرصاص ؟ فقلت له لم اشعر بأيما شيء .. ثم قال : ماذا شعرت بعد ان اطلقت الرصاص ؟ فقلت له : لم اشعر بأيما شيء .

– فقط ؟.

– وه كلا ! لقد اصيب بخيبة امل كبيرة حينما قلت له لا شيء !. وكان يريد ان يكتب وكنت اريد ان اساعده حقاً فقلت له ..

– ماذا قلت ؟

– قلت له انني بعد ان اطلقت الرصاص شعرت بشيء واحد فقط . هو ان مشط الفشك سريع الانتهاء ..

– اشعرت بذلك حقاً ؟

هز رأسه بأسى . وكان العنكبوت قد اتم نسج بيته كله ، ثم وقف في الوسط رافعاً اذرعته المتعددة باحثاً عن ذبابة ..

– اوه .. نعم ! انت لا تتصور كم كان ذلك مذهلاً ! ضغطة واحدة على الزناد وينتهي الأمر .. انهم لا يحملوننا سوى مشط واحد ..

– هيا بنا ..

شده من ذراعه فمشى معه وقد احس بالالفة لأول مرة ، منذ ذلك الوقت الذي تلقى فيه ضربة قاسية على مؤخرة عنقه ، ثم نقلته سيارة الجيش الى المستشفى .. وفي غمرة ذلك الشعور المريح لاحظ بأنهم خلعوا عنه بذلته العسكرية والبسوه لباساً غريباً .. ولكنه لم يشأ ان يحزر متى حدث ذلك ..

– .. لقد قتلت اثنين ..

– من ؟

– انت ، حينما اطلقت رصاصك قتلت اثنين منهم ..

– واين المفاجأة ؟ حينما يطلق المرء رصاصاً فانه يطلقه على شيء ما ..

– كنت تتعمد ذلك ؟

– اوف ! . ماذا تحسب اذن ؟

– كنت احسب انه انهيار عصبي !..

– وما الفرق ؟

– الفرق ان المصاب بانهيار عصبي لا يتعمد ذلك ؟.

وقف فجأة فتقطعت خيوط بيت العنكبوت واهتز في مكمنه الا انه ما لبث ان انطلق بعناد لاصلاح ما انفتق من الشباك

– انهم يحسبون اذن انني لم اتعمد ذلك ؟

– اجل !

– كلا ! لقد تعمدته !

– لو قلت ذلك امامهم لسجنوك ، الافضل ان تمسك لسانك ..

صار العنكبوت يعمل بصخب وجنون واخذ يحدث ضجة في جبينه ، خيل اليه انه على وشك ان يقع ، ودار الممر الطويل دورة كبيرة حول نفسه ثم عاد الى ماكان عليه ..

– لماذا يريدون ان اقول انني لم اتعمده ؟.

– لانه عمل غير صائب .. ثبت قدميه في الارض فعاد الممرض لسحبه الا انه نفض ذراعه بعنف وتقطعت خيوط اكثر في بيت العنكبوت ..

– اتريد ان اقول لك شيئاً ؟

– كلا ! اريد ان تمشي معي . لقد ضيعنا نهارنا ..

– لن امشي قبل ان اقول لك شيئاً ..

– حسناً . قل ..

– انا مصاب بهذا الشيء المتعلق بالاعصاب لانني تعمدت ان اطلق الرصاص .. اليس كذلك ؟.

– اجل ..

تقطعت المزيد من الخيوط في بيت العنكبوت وضجت الحشرة السوداء بجنون وهي تحاول رتق الفتق .. واكمل :

– وهم ليسوا مصابين بذلك الشيء الخطير المتعلق بالاعصاب لانهم يتعمدون ان لا يطلقوا الرصاص .. اليس كذلك ؟..

– اجل . ماذا تريد ان تقول ؟..

– ماذا اريد ان اقول ؟ اوف ! لا شيء .. لا شيء ..

سار بهدوء . وكان يدق ارض الممشى بقدميه الكبيرتين فيهتز جسده الضخم ، وكان العنكبوت يرتج في جبينه ، والخيوط تتقطع بعنف .. ثم يهتف ..

– اسمع ، هل انت متأكد ان هذا هو الصحيح ؟.

– ماذا ؟.

– هذا الذي قلته قبل قليل عن موضوع الاعصاب ؟

– طبعاً .. طبعاً ..

نظر الى الممرض بامعان .. كان العنكبوت قد بدأ يتلاشى . وامحت . فجأة . كل آثار خيوطه المتشابكة وصار جبينه من الداخل نقياً كبلاطة رخام ابيض ..

– حسناً .. دعنا نذهب الى الرئيس !..